ليس دفاعا عن بدرية

ليس دفاعا عن بدرية !

أحمد البقشي .

تعجبت كثيرا حينما قرأت تغريدة منشورة من أحد الكتّاب نعت فيها رواية بدرية البشر (زائرات الخميس) بأنها بذيئة ! .

مصدر التعجّب ترجمه تساؤلي الملحّ هل لهذا الكاتب أو غيره اطلاع جيّد بالتّراث الأدبي العربي ؟

و حقيقة كان هذا السّؤال ينقدح في ذهني كثيراً حينما ألاحظ الكثير من ردود الأفعال تصدر على كتاب ، أو حول بعض الإصدارات التّي تمتاز بجرأة في الطّرح خاصة فيما يتعلّق بتابو الجنس في مجتمعنا ، و الذّي أعتقد حقيقة من خلال معرفة و تتبّع ، أنّه تابو صناعي تنامي في عهد الصّحوة ، و الذي خلخل كثيرا قيم العلاقة بين الرجل و المرأة و بثّ حالة توحّش كبيرة تجاهها و غلّب حالة سوء الظنّ فيها .

السّؤال مرّة أخرى :

/ هل اطلع من نعت الرّواية بالبذيئةعلى صفحات كتب التّراث الأدبي العربي ؟

أقطع يقينا و بسنّ قاطع أنّ كثيرا ممن نعت الرّواية بالبذاءة ليس لديه اطلاعات كافية بالأدب العربي القديم , سيّما الشّعر و الذّي يشكّل العلامة الأبرز في النّتاج الإنساني للعرب , لأن من اطلع عليه سوف يلمس أنّ الغزل , و حتى الغزل الصّريح أو ما ينعت بالأدب المكشوف قد استحوذ على قدر غير يسير من مجموع النّتاج الشّعري , و لا يقتصر هذا النّتاج على الشّعراء فقط بوصفهم مثقفي ذلك الوقت عبر العصور الإسلامية العديدة , بل سيجد من بين اولئك عددا من الفقهاء و علماء الدين و أهل التقوى .

كانت أشكالهم الشّعرية تتناول لا التولّه بالمحبوبة فحسب ، بل حتى التّفاصيل الدّقيقة للعلاقات الحميمية بقوالب في منتهى الجرأة .

و من يُقلّب كتب الأدب القديمة و المعاصرة سيجد شواهد كثيرة جدا في كتب (يتيمة الدّهر) للثعالبي(429هـ) , (دمية القصر) للباخرزي (ت 467هـ), و (خريدة الدهر) للعماد الأصفهاني – ت 597هـ - و (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني –ت 356هـ- و (البابليات) لليعقوبي – ت 1385 هـ , و(أدب الطّف) للسيّد جواد شبّر .

بل سيجد أكثر من ذلك غزلا غلاميا و قصائد خمريّة !

أما من سيقف على لجّة الأدب الشّعري الشّعبي فسوف يستعرض بانوراما عريضة من كل ذلك .

و في جهة أخرى :

هل كانت التراث الشعبي المحكي خلوا من هذا الأمر ؟

أيضا بضرس قاطع أقول كانت حكايات الجدّات و حزاويهن للأولاد و الأحفاد، و التّي تحكى قبل النّوم أو في جلساتهن تعكس أشكالا واضحة من العلاقات الحميمة , و كانت تمثّل شكلا من أشكال التّثقيف الجنسي المبرمج للأطفال و الذين كانت ظروف المجتمع تدفع بهم مبكرا لعالم الزوجيّة في سنّ مبكر و يحتاجون لشكل من أشكال الإنضاج المرشّد من الأقارب ضمن القنوات النظيفة .

مع تعاظم ظاهرة ما يسمّت بالصّحوة و تغلغلها في مفاصل ثقافتنا الشّعبية و التّعليمية و صارت تجتثّ الكثير من الممارسات التي شكّلها المجتمع كحلول لمشكلاته , و استطاعت خلال ثلاث عقود أن تحوّلها بشكل أو بآخر لمشاكل و تصوغ ذائقة مستوردة , تعبس أمام واقع مجتمع الآباء و الأمهات و تشكك في ممارساتهم و سلوكياتهم .

أما من سيفتح مصراع باب (الأمثال العربية الفصحى أو الشعبية) فسيغرق في نماذج هي الأكثر و الأكثر و الأكير جرأة و انكشافا .

سؤال آخر مهم :

هل يحاسب المبدع على نتاجاته و هي محط خيال ؟

بالتأكيد النّتاجات الإبداعيّة من شعر و قصة و رواية و لوحات تشكيلية هي نتاجات غالبا ما تكون خياليّة فهل يحاسب عليها اجتماعيا ؟

حقيقة ربما كانت الدكتور أحمد الوائلي و هو باحث اسلامي و داعية أشار لهذا الأمر في مقدمّة ديوانه الأوّل و الذي طبع أواسط الثمانينات حيث لمس هذا الرجل بفراسته أنّه سوف يحتاج لإيضاح هذا الأمر وبيان براءة ساحة المبدع من تبعات ما يبدعه اجتماعيا مع أنّه – أي الوائلي – بالتأكيد يعلم أن الشّعراء منذ ما قبل امرئ القيس و حتى قبل بروز ظاهرة الصحوة لم يخطر على بالهم أن يطرح عليهم هذا السؤال ! و الأمر ينسحب بالتأكيد على بقيّة النتاجات الإبداعية الأخرى .

و هناك نقطة مهمّة يجب ألا تغفل في حالة بدرية البشر و ظاهرة المجتمع الذكوري فربما لا يغفر المجتمع للمرأة ما يغفره للرجل , خاصة في شخص بدرية و هي محاربة شرسة لعوارض الصحوة .

أخيرا كنت أتمنى على مجتمعنا أن يعتبر رواية بدرية في سياق حزاوي الجدّات التي تسدّ حيّزا في تثقيف النّاشئة .

السّؤال مرّة أخرى :

/ هل اطلع من نعت الرّواية بالبذيئةعلى صفحات كتب التّراث الأدبي العربي ؟

أقطع يقينا و بسنّ قاطع أنّ كثيرا ممن نعت الرّواية بالبذاءة ليس لديه اطلاعات كافية بالأدب العربي القديم , سيّما الشّعر و الذّي يشكّل العلامة الأبرز في النّتاج الإنساني للعرب , لأن من اطلع عليه

سوف يلمس أنّ الغزل , و حتى الغزل الصّريح أو ما ينعت بالأدب المكشوف قد استحوذ على قدر غير يسير من مجموع النّتاج الشّعري , و لا يقتصر هذا النّتاج على الشّعراء فقط بوصفهم مثقفي ذلك الوقت عبر العصور الإسلامية العديدة , بل سيجد من بين اولئك عددا من الفقهاء و علماء الدين و أهل التقوى .

كانت أشكالهم الشّعرية تتناول لا التولّه بالمحبوبة فحسب ، بل حتى التّفاصيل الدّقيقة للعلاقات الحميمية بقوالب في منتهى الجرأة .

و من يُقلّب كتب الأدب القديمة و المعاصرة سيجد شواهد كثيرة جدا في كتب (يتيمة الدّهر) للثعالبي(429هـ) , (دمية القصر) للباخرزي (ت 467هـ), و (خريدة الدهر) للعماد الأصفهاني – ت 597هـ - و (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني –ت 356هـ- و (البابليات) لليعقوبي – ت 1385 هـ , و(أدب الطّف) للسيّد جواد شبّر .

بل سيجد أكثر من ذلك غزلا غلاميا و قصائد خمريّة !

أما من سيقف على لجّة الأدب الشّعري الشّعبي فسوف يستعرض بانوراما عريضة من كل ذلك .

و في جهة أخرى :

هل كانت التراث الشعبي المحكي خلوا من هذا الأمر ؟

أيضا بضرس قاطع أقول كانت حكايات الجدّات و حزاويهن للأولاد و الأحفاد، و التّي تحكى قبل النّوم أو في جلساتهن تعكس أشكالا واضحة من العلاقات الحميمة , و كانت تمثّل شكلا من أشكال التّثقيف الجنسي المبرمج للأطفال و الذين كانت ظروف المجتمع تدفع بهم مبكرا لعالم الزوجيّة في سنّ مبكر و يحتاجون لشكل من أشكال الإنضاج المرشّد من الأقارب ضمن القنوات النظيفة .

مع تعاظم ظاهرة ما يسمّت بالصّحوة و تغلغلها في مفاصل ثقافتنا الشّعبية و التّعليمية و صارت تجتثّ الكثير من الممارسات التي شكّلها المجتمع كحلول لمشكلاته , و استطاعت خلال ثلاث عقود أن تحوّلها بشكل أو بآخر لمشاكل و تصوغ ذائقة مستوردة , تعبس أمام واقع مجتمع الآباء و الأمهات و تشكك في ممارساتهم و سلوكياتهم .

أما من سيفتح مصراع باب (الأمثال العربية الفصحى أو الشعبية) فسيغرق في نماذج هي الأكثر و الأكثر و الأكير جرأة و انكشافا .

سؤال آخر مهم :

هل يحاسب المبدع على نتاجاته و هي محظ خيال ؟

بالتأكيد النّتاجات الإبداعيّة من شعر و قصة و رواية و لوحات تشكيلية هي نتاجات غالبا ما تكون خياليّة فهل يحاسب عليها اجتماعيا ؟

حقيقة ربما كانت الدكتور أحمد الوائلي و هو باحث اسلامي و داعية أشار لهذا الأمر في مقدمّة ديوانه الأوّل و الذي طبع أواسط الثمانينات حيث لمس هذا الرجل بفراسته أنّه سوف يحتاج لإيضاح هذا الأمر وبيان براءة ساحة المبدع من تبعات ما يبدعه اجتماعيا مع أنّه – أي الوائلي – بالتأكيد يعلم أن الشّعراء منذ ما قبل امرئ القيس و حتى قبل بروز ظاهرة الصحوة لم يخطر على بالهم أن يطرح عليهم هذا السؤال ! و الأمر ينسحب بالتأكيد على بقيّة النتاجات الإبداعية الأخرى .

و هناك نقطة مهمّة يجب ألا تغفل في حالة بدرية البشر و ظاهرة المجتمع الذكوري فربما لا يغفر المجتمع للمرأة ما يغفره للرجل , خاصة في شخص بدرية و هي محاربة شرسة لعوارض الصحوة .

أخيرا كنت أتمنى على مجتمعنا أن يعتبر رواية بدرية في سياق حزاوي الجدّات التي تسدّ حيّزا في تثقيف النّاشئة .